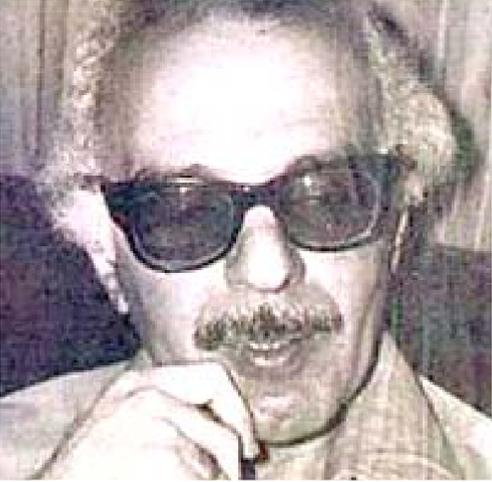


محمود البريكان الموهوب الذي وأد نفسه بالصمت

لماذا تخلق أمام الضباع عن سهمه؟



محمود البريكان

على أكثر من ملف عن البريكان، هو الذي يؤكد إن السور الذي ضربه البريكان حول نفسه، أو متراسه أمام شعره إنهار بكل بساطة، وأصبح عرضة لكل يد أو ادعاء كاذب أو معرفة ناقصة، وهذا ما حذرنا منه، لكن الاستجابة كانت ضعيفة، ومؤجلة دائماً، والحياة الإنسانية والعمر الإنساني القصير لا يسمح أبداً بالتأجيل، فالزمن ياكل من جرفنا يوماً، فما أحرانا أن نرم هذا الناك بجرفنا بالإنجاز والكتابة، لا بل الأكل من جرف الزمن!

لو تخلق شيئاً عن ما هو فيه من توقع وصدقية لقدم لنا قصائد خوالد، وشاهدي هذا الذي قرأته من جرفنا بالإنجاز والكتابة، لا بل الأكل من جرف الزمن!

لو تخلق شيئاً عن ما هو فيه من توقع وصدقية لقدم لنا قصائد خوالد، وشاهدي هذا الذي قرأته من جرفنا بالإنجاز والكتابة، لا بل الأكل من جرف الزمن!

لو تخلق شيئاً عن ما هو فيه من توقع وصدقية لقدم لنا قصائد خوالد، وشاهدي هذا الذي قرأته من جرفنا بالإنجاز والكتابة، لا بل الأكل من جرف الزمن!

ومنها روايته المكثفة (رغوة السحاب) فضلاً عن كتابه النقدي (فريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي) وإن يساله محمود عبد الوهاب رأيه في ما قرأ، أجاب:

- إنك مختلف.

- كيف؟

- راقب لغتك ولا تاذن لها بان تكون مسرفة.

شكرته. أنا أعرف حرصه الشديد على لغته وأتذكر ما قاله في حوار له إن كل كلمة لا يعينها الشاعر، تعني في خدمة الممدوح والحاكم، لكن هذا التحليل يكاد يتهاوى إزاء حقائق الحياة الخاصة للشاعر والعامية، وحقائق الحركة الثقافية في العراق، فيها هو بدر شاكر السياب يكتب عام 1957مقالة في الملحق الأسبوعي الأبي لجريدة (الشعب) لصاحبها يحيى قاسم، ذكر فيها ما نصه: "سأحاول بذل كل جهد لإخراجها من صمتها، ليتبوا المكانة اللائقة به.

لقد مارس الشاعر الراحل محمود البريكان مأسوشية فاجعة معنية إزاء منطقتة ذاته العميقة، ولو أطلق صرخته، لكننا وجدنا لها صدى أو بعض صدى فعاش في الظل طوال حياته، ولم يظهر له ديوان شعري يحفظ بعض هذه القصائد، عدا محاولات لعبد الرحمن طهمازي، ولكن هي بعض سعادات الحياة أن يعكف الشاعر حسين عبد الطيف،

لعل ثمة ثلاث ظواهر طبعت الحياة الإبداعية للشاعر محمود البريكان، الأولى قلة المنتج شعرياً، إذ لم ينتشر على مدى أكثر من نصف قرن، الذي يمثل عمره الإبداعي غير خمس وثماني قصيدة، والمعدل يقل عن إنتاجها حوالياً إبداع التسويغات لعزوف الشاعر عن الكتابة والنشر، فلن نجد له عذراً في واد موهبته، وقطر روح المجتمع فيه، تحت سيطرة الصمت، هو الذي يصف منطقة الإبداع الشعري، بمنطقة الذات العميقة التي لا يستطيع الوصول إلى أعماقها، بله ضفافها إلا المبدعون الأصلاء.

شكيب كاظم

بغداد



رواية بحر أزرق.. قمر أبيض

المشكلات الاجتماعية وأثرها في لاوعي الراوي الرحال

نوال هادي حسن

النجف

تعدُّ المشكلات الاجتماعية من المؤثرات الأساسية التي تشكل عانقا أمام نمو المجتمعات، بل وتشكل خطراً عليها أحياناً، فالأحداث الاجتماعية الخارجة عن المؤلف أو المناقضة للقيم السائدة أو الأدب العامة تتفاوت في تأثيرها على المجتمع بحسب نوعها، وكذلك هي تختلف في سعة حدودها وتكرار الأضرار ودرجة توزيعها وكثافة الاضطراب الفكري والعاطفي المتحصرة، ثقافية أم مدنية(2). وعلى هذا النحو من الأهمية البالغة لتأثيرها على الدراسات الاجتماعية تحاول روبرت سارتر أن ينظر المشكلات الاجتماعية الواقعية ويصوغها بصياغة نظرية لتفرد النهر الاجتماعي (علم الاجتماع) من منبئين الواقعي (النظري) ليحل هذا النهر العرفي دائم الجريان(3) ويتعمق عنه نتائج أكثر دقة، خاصة وهي تعطينا صورة واقعية عن المؤثرات الحقيقية التي أنتجت سلوك الفرد أو المجتمع.

ويرى عالم الاجتماع الأمريكي المعاصر (بول هرتون) أن المشكلة الاجتماعية نتاج لطرف مؤثر على عدد كبير من الأفراد تجعلهم يعنون الناتج عن الظروف المؤثرة عليهم غير مرغوب فيها، ويصعب علاجه بشكل فردي إنما يتيسر علاجه من خلال الفعل الاجتماعي الجمعي. إنه من المؤكد بأن مشكلة اجتماعية بهذا المستوى من التأثير لها أبعادها وأثارها السيكولوجية العميقة في ذهن الفرد الذي يعاشرها، ومن ثم إنها تشكل لها مركزية ذهنية في الوعي عند الإنسان المعاصر أو المعاش، وربما تشكل مرجعاً لا وعياً عنده في رؤيته للأحداث، تماماً مثلما يشاهد عدد من الأفراد حديثاً أو حادثة معينة واحدة في آن واحد، لكن كل واحد منهم يرونها بصورة مختلفة نسبياً عما يرونها الآخرون، والسيب في ذلك هو تلك الأنماط الذهنية المتشككة في لاوعي كل شخص منهم، فمثلاً لو حدث حفل زفاف في مجتمع مدني وكان الحفل يجمع مختلفين من أقارب وأصدقاء العروسين، تكورا وإنشاً، وكان من ضمن الرائيين لذلك الحفل شخصان أحدهما شرقي من مجتمع يكون فيه التوحد ونبذ التفرة والعنف، وبالعودة إلى النقد الثقافي الذي يتعدى حدود النص إلى ما حوله ليكشف لنا عوالم أخرى كانت من أسباب نشوء النص على هذه الكيفية، وكشف وظائف معرفية أخرى: نرى أن الكاتب - بإرادته أم بغيرها - أراد أن تصل الحقائق لتلقية بصورة غير مباشرة، فقد قدم لنا الأشياء واقعية في الماد المكاني والزماني ومعلومات معرفية اجتماعية، تخص العادات أو التقاليد الخاصة بالبلدان التي دارت في نفس الراوي وكان يطرحها بين فينة وأخرى، فكانت تلك العادات والتقاليد التي لفت انتباهه كاشفة عن عمق الألم والمعاناة التي عاشها

الكاتب في مجتمعه والصورة المعاكسة تماماً للصور التي رآها في مجتمعات البلدان التي زارها، ورمأة عاكسة لآسالة الجريحة في أن يستبعد مجتمعه الحياة وينبع بها كما تنعم بها المجتمعات التي رآها في رحلاته.

إن تساؤلاته عن الكيفية التي تحققت بها الوحدة في بعض المجتمعات التي زارها -على الرغم من تنوعها واختلافها دينياً وثقافياً وعرقياً- تظهر لنا الوجه المنبهر لشخصية الكاتب التي تجلت لنا من خلال الراوي في نص هذه الرواية، مهتما لما يقوله (انطونيو) وهو يخبره عن سلده (بوماي) وهي إحدى مقاطعات انونيسيا: ((بوماي بلدة عزيزة علينا، دافع عنها أجدادنا زمن الاحتلال بقوة رجل واحد، رغم اختلاف انتماءاتهم العرقية والوثنية.

- ولكن كيف أتفق أجدادكم كرجل واحد أمام هذه التحديات: على الرغم من اختلاف انتماءاتهم، مثل ما تقول؟

قال مبتهاج وهو يشير ناحية الأفق: ..انظر..انظر هناك عند تلك الجبال العالية يسفوحها الخضراء المزدحمة بالأشجار المختلفة المحملة بالثمار، نحن نرى في الشوارع مطلقاً، لكن كثيراً ما نسمع عن كرمهم وتواضعهم بين الناس الذين يتعاملون مع كل شريحة من شرائح شعبيهم وكانهم أهل لهم، شهرتهم الواسعة وصيتهم الواسعة يحفظنا على ثروتهم التي كانت تزدها عاماً بعد عام، ولا ننكر من وجود الفقراء ولكن نراهم بصورة منقطعة بظهورهم في الشوارع بفترات متباعدة، لقلّة عددهم 8

فردى -ومن خلال قوله: (ولكن كيف أتفق أجدادكم كرجل واحد أمام هذه التحديات: على الرغم من اختلاف انتماءاتهم، مثل ما تقول؟)- إن هم الاتفاق والوحدة، يبدو كصورة من بملامحها على النص على الرغم من كونها خلف أقتعة تساؤل الراوي، تلك الأقتعة التي أرات أن تخفي مركزية المشكلة الاجتماعية الخطيئة التي عاشها الراوي في مجتمعاتنا العربية التي تتميز بطابع التفرد والتشتت والتجزؤ، ومن هنا فإن صور الأحداث التي يرويها لنا تختلف بحسب اختلاف العين اللاوعية الرائية.

سدى كل سكان بوماي يختلفون في الأطياف والديانات والقوميات، تتكون من مجموعات عرقية لغوية، ودينية مختلفة، تنتشر متفرقة عبر العديد من جزر البلاد، الجاوية هي أكبر إثنية في البلاد وهي المهيممة سياسياً هنا، ولكنهم اتفقوا على هوية البلاد المشتركة في شعار رفعتهم السلطات الوحيدة في النوع، تعاهدوا على علامة هذا الشعار وهي زهرة اللب البضاعة، إننا نلفظ في مجتمعهم مسيح وهدوس وبوذية وأقلية كما تعرف منهم مسلمين، لنا نمطاً الخاص في التعايش، ينتقل هذا النمط بطريقة سلسلة مسالة من جيل إلى آخر في توك معرفي ورضى ولكن كيف أتفق أجدادكم كرجل واحد أمام هذه التحديات: على الرغم من اختلاف انتماءاتهم، مثل ما تقول؟)- إن هم الاتفاق والوحدة، يبدو كصورة من بملامحها على النص على الرغم من كونها خلف أقتعة تساؤل الراوي، تلك الأقتعة التي أرات أن تخفي مركزية المشكلة الاجتماعية الخطيئة التي عاشها الراوي في مجتمعاتنا العربية التي تتميز بطابع التفرد والتشتت والتجزؤ، ومن هنا فإن صور الأحداث التي يرويها لنا تختلف بحسب اختلاف العين اللاوعية الرائية.

أمرهم في رؤية اليوم الذي تتوحد فيه بلداناً ومجتمعاتنا، كما تتوحد البلدان والمجتمعات الأخرى.

ومن جهة أخرى فإن عين الباحث الاجتماعي العلمي تتجلى من خلال بعض العبارات التي تضمنها نص الحوار اعلاه للراوي م (انطونيو)، مثل قول (انطونيو): ((انظر هناك عند تلك الجبال العالية يسفوحها الخضراء المزدحمة بالأشجار المختلفة المحملة بالثمار، نحن نرى في الشوارع مطلقاً، لكن هوية البلاد المشتركة في شعار رفعتهم السلطات الوحيدة في النوع))، وقوله: ((لنا نمطنا الخاص في التي نتج تسلط رجل القانون على أفراد المجتمع تسلطاً مرناً متحصراً، كما لا تترك الفرد يعبث في الأرض فساداً مستغلاً أي غيب لعين السلطة، فانت لا تجد نمطاً نجده في بلداننا العربية، رجال الشوكة لا يقفون متسمرين غضبا بوجه المرأة في الطرقات، فقد قدم لنا الراوي صورة جميلة عن التنظيم الاجتماعي المتن، تلك المجتمعات وهي صورة من التعاون والالتزام، الأمر الذي كفل سير الأمور على أحسن ما يرام، لأن هذه الأنظمة تقوم على فكرة المراقبة المتواصلة والسيطرة، وهذا ما نقله الراوي بقوله: (تلتفت ذات المين، ذات الشمال، ليس من الضروري أن تتشاهد رجال الشرطة تقف بوجهها غضب تراقب الناس عند كل تقاطع أو زقاق، ولكن احذر: فالكاميرات موجودة في كل مكان))،(12)

وهنا قد جرى استبدال الانضباط الخارجي والإكراه العلني ليحل محلهم الانضباط الذاتي، وفي عملية التحضير هذه تغيرت كل نحو جذري عقلية الفرد المعاصر (3) وهذا هو التخطيط العالي والرفيع مراعاة لتطور الفرد المعاصر، والتزامه من تلقاء نفسه، لأنه يعرف أن هناك قانون مقدس لا مجال فيه.

وعلى المستوى الثقافي نجد أن الراوي قد اهتم - بقصد أو بغيره - بجوانب ثقافية أخرى للبلدان التي يقف عند موانئها، فمثلاً عند إقامته في اودونيسيا تأخذ الحيوية (رستوريتا) إلى أهلها وتطلع على تقاليد سنوية عندهم:

فيقول: ((قررت النزول من السفينة والطواف في شوارع المدينة كنت سعيداً في سنغافورة؛ إذ لا يعرفني فيها أحد؛ مدينة من المدن الشديدة الحرص على النظافة والهوء، ينتصب على أرفصقتها الجمال، تجع شوارعها بالمحال المخممة بالنبضات المستعدون دائماً وبشكل خرافي رسم البهجة في القلوب))، (15)

وفي هذا النص نرى أنه يؤكد في وصفه على أدق الأشياء كجمال تنظيم المدينة وعمرانها ونظافة شوارعها مما يعكس اهتمام ذلك المجتمع بهذه الجوانب التي كثيراً ما نفتقدتها في مجتمعاتنا، والتي للثقافة العامة والخاصة دورها الرئيس في بناء تلك قاعدة ثقافية رصينة يبنى عليها وضع ستراتيجيات وخطط مهمة وناجحة في عمران وتنظيم المدينة والتزام أهلها بالحفاظ على عمرانها ونظافتها.

وفي ختام هذه القراءة يمكننا القول شيئاً بأن رواية (بحر أزرق.. قمر أبيض) تنتمي -وبجادة- إلى أدب الرحلات، فإنه لا بد من القول إنها أيضاً تنتمي -وبجادة- إلى النقد الاجتماعي، كما يمكن أن نقول بأن أدب الرحلات هو وسيلة من وسائل التوصل إلى لم أكن مبالغة في قولي إنها أيضاً وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي المهمة التي تنقل تجربة الشعوب الأخرى بعين ناقد.

الهوامش:

- 1- علم المشكلات الاجتماعية، د. د. معن خليل العمر، ط 11/ الإصدار الثاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2005، ص 18.
- 2- المصدر نفسه، ص 18.
- 3- المصدر نفسه، ص 17.
- 4- المصدر نفسه، ص 19.
- 5- النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، فيليب جونز، ترجمة: د. محمد ياسر الخواجة، ط 11/ مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010، ص 47.
- 6- المصدر نفسه، ص 46.
- 7- المصدر نفسه، ص 51.
- 8- بحر أزرق.. قمر أبيض، حسن البحار، ط 11/ مصر العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2014، ص 18.
- 9- المصدر نفسه، ص 19.
- 10- المصدر نفسه، ص 19.
- 11- المصدر نفسه، ص 500.
- 12- المصدر نفسه، ص 39.
- 13- النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني، برني السوتاري، ترجمة: علي قرغلي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، 2010.
- 14- بحر أزرق.. قمر أبيض، ص 51.
- 15- المصدر نفسه، ص 38.

- 1- علم المشكلات الاجتماعية، د. د. معن خليل العمر، ط 11/ الإصدار الثاني، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، 2005.
- 2- النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، فيليب جونز، ترجمة: د. محمد ياسر الخواجة، ط 11/ مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010.
- 3- النظرية الاجتماعية والواقع الإنساني، برني السوتاري، ترجمة: علي قرغلي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة - مصر، 2010.
- 4- بحر أزرق.. قمر أبيض، حسن البحار، ط 11/ مصر العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2014.

التي تتجلى من خلال الراوي م (انطونيو)، مثل قول (انطونيو): ((انظر هناك عند تلك الجبال العالية يسفوحها الخضراء المزدحمة بالأشجار المختلفة المحملة بالثمار، نحن نرى في الشوارع مطلقاً، لكن هوية البلاد المشتركة في شعار رفعتهم السلطات الوحيدة في النوع))، وقوله: ((لنا نمطنا الخاص في التي نتج تسلط رجل القانون على أفراد المجتمع تسلطاً مرناً متحصراً، كما لا تترك الفرد يعبث في الأرض فساداً مستغلاً أي غيب لعين السلطة، فانت لا تجد نمطاً نجده في بلداننا العربية، رجال الشوكة لا يقفون متسمرين غضبا بوجه المرأة في الطرقات، فقد قدم لنا الراوي صورة جميلة عن التنظيم الاجتماعي المتن، تلك المجتمعات وهي صورة من التعاون والالتزام، الأمر الذي كفل سير الأمور على أحسن ما يرام، لأن هذه الأنظمة تقوم على فكرة المراقبة المتواصلة والسيطرة، وهذا ما نقله الراوي بقوله: (تلتفت ذات المين، ذات الشمال، ليس من الضروري أن تتشاهد رجال الشرطة تقف بوجهها غضب تراقب الناس عند كل تقاطع أو زقاق، ولكن احذر: فالكاميرات موجودة في كل مكان))،(12)

وهنا قد جرى استبدال الانضباط الخارجي والإكراه العلني ليحل محلهم الانضباط الذاتي، وفي عملية التحضير هذه تغيرت كل نحو جذري عقلية الفرد المعاصر (3) وهذا هو التخطيط العالي والرفيع مراعاة لتطور الفرد المعاصر، والتزامه من تلقاء نفسه، لأنه يعرف أن هناك قانون مقدس لا مجال فيه.

وعلى المستوى الثقافي نجد أن الراوي قد اهتم - بقصد أو بغيره - بجوانب ثقافية أخرى للبلدان التي يقف عند موانئها، فمثلاً عند إقامته في اودونيسيا تأخذ الحيوية (رستوريتا) إلى أهلها وتطلع على تقاليد سنوية عندهم:

فيقول: ((قررت النزول من السفينة والطواف في شوارع المدينة كنت سعيداً في سنغافورة؛ إذ لا يعرفني فيها أحد؛ مدينة من المدن الشديدة الحرص على النظافة والهوء، ينتصب على أرفصقتها الجمال، تجع شوارعها بالمحال المخممة بالنبضات المستعدون دائماً وبشكل خرافي رسم البهجة في القلوب))، (15)

وفي هذا النص نرى أنه يؤكد في وصفه على أدق الأشياء كجمال تنظيم المدينة وعمرانها ونظافة شوارعها مما يعكس اهتمام ذلك المجتمع بهذه الجوانب التي كثيراً ما نفتقدتها في مجتمعاتنا، والتي للثقافة العامة والخاصة دورها الرئيس في بناء تلك قاعدة ثقافية رصينة يبنى عليها وضع ستراتيجيات وخطط مهمة وناجحة في عمران وتنظيم المدينة والتزام أهلها بالحفاظ على عمرانها ونظافتها.

وفي ختام هذه القراءة يمكننا القول شيئاً بأن رواية (بحر أزرق.. قمر أبيض) تنتمي -وبجادة- إلى أدب الرحلات، فإنه لا بد من القول إنها أيضاً تنتمي -وبجادة- إلى النقد الاجتماعي، كما يمكن أن نقول بأن أدب الرحلات هو وسيلة من وسائل التوصل إلى لم أكن مبالغة في قولي إنها أيضاً وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي المهمة التي تنقل تجربة الشعوب الأخرى بعين ناقد.



غلاف الرواية